المبحث الخامس عشر

حفظ الأمانات

من علامات الإيمان

حفظ الأمانات من علامات الإيمان

الحمد لله رب العالمين، فمنك العون كله ومنك الفضل كله، ومنك النعيم كله، وإليك يرجع الأمر كله، لا عز إلا في طاعتك، ولا نعيم إلا في رضاك، ولا سعادة إلا في التذلل بين يدي عظمتك.

اللهم لك الحمد كالذي نقول، ولك الحمد خير مما نقول، ولك الحمد فى كل حال، فأنت المذكور على كل لسان، وأنت المحمود فى جميع الأحوال، وأنت المستعان به آناء الليل، وأطراف النهار.

﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [يوسف:١٠١].

اللهم أحيينا مسلمين، و توفنا مسلمين، وأمتنا مسلمين، واحشرنا يَوْمَ لَا يُخْزِي الله النَّبِيَّ، يا ربنا في زمرة المقربين .

﴿ ... وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحريم: ٨].

اللهم أتمم لنا نورنا في الدنيا والآخرة، اللهم اجعلنا، من سعداء الدنيا والآخرة، ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴾ [الطور:٤٩].

وحين تقوم من نومك، ومن الليل فسبِّح بحمد ربك، وعظِّمه، وصلِّ له، وافعل ذلك عند صلاة الصبح وقت إدبار النجوم، وفي هذه الآية إثبات لصفة العينين لله تعالى بما يليق به، دون تشبيه بخلقه، أو تكييف لذاته، سبحانه وبحمده، كما ثبت ذلك بالسنة، وأجمع عليه سلف الأمة، واللفظ ورد هنا بصيغة الجمع للتعظيم .

يظل المسلم متلذذًا، في حالة عبادته لله تعالى، وفي حالة أنسه به، كلما اشتاق إلى ربه، تضرع، وبكى، وأناب، ورجا، كلما اشتاق إلى جنة ربه عاين الحبيب وأحواله، كيف كان يعبد؟ كيف كان يذكر؟ كيف كان يشكر؟

عاين هذا النجاشي عندما أتى إلى النبي الكريم؛ ليصف له الجنة، فوصل إلى النبي ﷺ وعلى آله وصحبه الكرام يسأله عن الجنة.

كأنني هذا الحبشي (الحبشي أوالنجاشي) الذي سأل الحبيب عن هذه الحالة، هو أستشعر نفسيته، وهو يسأل النبي عن أوصاف الجنة، فقال له النبي ﷺ وهو يتلو عليه سورة الإنسان في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان:٢٠].

أي: وإذا أبصرت أيَّ مكان في الجنة رأيت فيه نعيمًا لا يُدْركه الوصف، هذه حالة المعايشة للنعيم .

فاللهم اجعلنا وإياكم من الصالحين، واحشرنا وإياكم مع الصالحين، والصلاة والسلام على خير الذاكرين ﷺ، وإمام النبيين، الصادق الوعد الأمين، صاحب الوجه الأنور، والجبين الأزهر، وصاحب الشفاعة العظمى.

اللهم صلِّ وسلم، وبارك على سيدنا محمد، عدد ما أحاط به علمك، وجرى به قلمك، و شهدت به ملائكتك وأحصاه كتابك، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [البقرة: ٦٤]

أي: ثم خالفتم، وعصيتم مرة أخرى، بعد أَخْذِ الميثاق، ورَفْع الجبل كشأنكم دائمًا، فلولا فَضْلُ الله عليكم ورحمته بالتوبة، والتجاوز عن خطاياكم، لصرتم من الخاسرين في الدنيا والآخرة.

فاللهم أدخلنا في أبواب فضلك، وأدخلنا في أبواب رحمتك، واجعلنا يا ربنا ممن عاشوا طعم الإيمان، وحلاوة الإيمان .

اللهم اجعلنا من المتحابين في جلالك، واجعلنا يا ربنا من أهل ذكرك، ومن أهل محبتك، واجعلنا من المذكورين في الملأ الأعلى، ولذكر الله أكبر،

اللهم اجعلنا في هذه المرتبة، واجعلنا في هذه المكانة، اللهم اجعلنا وإياكم من أهل الباقيات الصالحات.

والشاب عندما يغترب خارج بلده لأيام معينة أو خارج نطاق المنطقة العربية، ويقع في المعاصي، يتحول قلبه الأبيض إلى قلبٍ أسود، ويتحول وجهه الذي كان يستضيئ بالإيمان إلى وجه كالح خالطه الذنب، وسودته المعاصي، وبعد هذا الإنسان يحاول أن ينقي قلبه مرة ثانية، يحاول أن يمسح هذا الاتساخ عندما يقع في الذنب.

بعض الناس ينفعل انفعالًا شديدًا، وعندما ينفعل فإنه يسب، ويسخط، وربما يلعن، بل وربما يصل إلى أن يسب الدين، فالثوب يتلوث ثم يريد أن يعيد الثوب إلى نقائه وإلى نصاعته، فماذا يفعل؟ هذه هي الأحوال الإيمانية التي نعيشها في هذه السلسلة .

فعلى سبيل المثال: قالت امرأة مسلمة: إنها كانت لديها وديعة، أي: أمانة، أحد الناس أعطاها أمانة، فقال لها: حافظي على هذه الأمانة حتى أستردها، واختُبرت وامتحنت، وفتنت، فجاءها آخر بعد قليل أي بعد يومين أو ثلاثة، وقال لها: أنا في حاجة إلى مبلغ من المال، عندي مشكلة، عندي قضية سأحبس فتعاطفت معه، فقالت له: خذ هذا المال، ثم عليك أن ترجعه مرة ثانية، فقد ضيعت الأمانة؛ لأن هذا المال ضاع بالفعل، ورجع صاحب المال يسأل عن هذا المال، فقالت له: قد جرى كذا وكذا، يا أختي أين الأمانة؟ هكذا سنُسأل في الآخرة عن الأمانات بهذا الشكل الذي نحدثك عنه الآن.

هل صليت صلاة العشاء؟ هي أمانة إذا لم تؤدها فقد فرطت في الأمانة، وتحول هذا الثوب الأبيض أي: القلب الأبيض - تحول عندما يتلوث بضياع الأمانة، فإنه يناله السواد كما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب:٧٢].

أي: إنا عرضنا الأمانة التي اؤتمن الله عليها المكلَّفين من امتثال الأوامر، واجتناب النواهي، على السماوات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها، وخفن ألا يقمن بأدائها، وحملها الإنسان، والتزم بها على ضعفه، إنه كان شديد الظلم والجهل لنفسه.

فالله تعالى أعطاك البصر؛ لكي تقرأ سورة النور؛ لكي تقرأ سورة الفرقان، وسورة فصلت، وتستمتع بنور القرآن، وتنظر في ملكوت السماوات والأرض، وتعتبر بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البلد: ٨ - ١٠].

أي: ألم نجعل له عينين يبصر بهما، ولسانًا وشفتين ينطق بهما، وبيَّنَّا له سبيلَي الخير والشر؟

لقد جعل الله تعالى لك العينين، لكي تطيع بهما الملك فصار النظر أمانة، فالنظرات، واللفظات، والخطرات، والخطوات كلها أمانة كما ذكرنا من قبل، فإذا يممت وجهك ناحية الحلال، وما رغبه منك الملك، الرحمن، الرحيم فقد أديت الأمانة، وإذا يممت وجهك ناحية بابٍ تغترف فيه من المعاصي، وتنهل فيه من الآثام، فإنك خالفت الوظيفة التي خلقت لأجلها، والتي خُلِقت العينان لأجلها إذا صار النظر أمانة، وإذا لم تعمل النظر في هذه الأمانة فإذا بهذا بالنقاء تحول إلى سواد، لماذا؟ لأنك عندما تغض بصرك، أي عليك أن تغض بصرك حتى تمضي الفتنة من أمامك أو على الأقل تحول وجهك ناحية ثانية، لابد أن تفعل هذا أو تنكس رأسك.

أنت عندك مجموعة أفعال يجب أن تفعلها دون أن تتفاعل مع المعصية، وفي الوقت نفسه تنكر المعصية التي أمامك، فإما أن تدخل حاجبيك على عينيك، أو تلتفت ناحية أخرى، أو ... فلماذا؟ لأن النبي العظيم ﷺ قال:

«**وزنا العين النظر**»[1] كالذي يتابع قنوات فضائية فاسدة فعليك أن لا ترى هذا وتجعلها قنوات دينية؛ من الأفضل لتنور بها قلبك؛ كما جاء في قوله تعالى: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾ [النور: ٣٠].

أي: قل أيها النبي للمؤمنين يَغُضُّوا مِن أبصارهم عمَّا لا يحلُّ لهم من النساء والعورات، ويحفظوا فروجهم عمَّا حَرَّم الله من الزنى واللواط، وكشف العورات، ونحو ذلك، ذلك أطهر لهم، إن الله خبير بما يصنعون فيما يأمرهم به، وينهاهم عنه.

هذه هي الطهارة والنقاء الحقيقي الذي أحدثك عنه، ذلك أزكى لهم كالذي يقترب من العلماء وقت الصلاة في المسجد، ويحاول أن يصلي في الصف الأول، أو الثاني، أو الثالث كلما اقترب من العالم الذي هو على المنبر، أو المقعد يقول: الدرس كلما يقترب منه فإنه يزداد نورًا من أبواب الرحمات ومن أبواب الجنان في رمضان، دروس العلم التي نحن فيها هي أبواب الرحمات أبواب يرتفع بها الإنسان كأنه يحلق في الملأ الأعلى، وبعد أن ينتهي الدرس، فإنه يزداد خوفًا من الله تعالى، كيف أزداد خوفًا من الله تعالى؟!

أن أجنب نفسي المعاصي، وأحيانًا الإنسان يحذر الناس من المعصية؛ لأن المعصية سيئة، المعصية صعبة، المعصية قاسية، المعصية معناها هبوط، كما جاء في قوله تعالى: ﴿**كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ**﴾ [طه: ٨١]. أي: كلوا من رزقنا الطيب، ولا تعتدوا فيه بأن يظلم بعضكم بعضًا، فينزل بكم غضبي، ومَن ينزل به غضبي، فقد هلك وخسر.

---

(١) مسند الإمام أحمد، كتاب: باقي مسند المكثرين، باب: مسند أبي هريرة ﷺ، رقم الحديث: ٧٣٩٤.

فأول رشوة تأخذها في حياتك تهبط بك، أول عادة سرية تعملها في حياتك تهبط بك إلى أسفل، أول نظرة بحرام تهبط بك، أول استمتاع سيئ تفعله في حياتك يهبط بك إلى أسفل، أول أغنية ماجنة تستمع إليها في حياتك وتؤثر في قلبك، وتشعر أنك تعيد كلام الأغنية مرة ثانية فقد هبطت إلى أسفل وهكذا، ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه:٨١].

بعد أن هوى عند فعل الذنب، وهبط لأسفل، وبعض الناس يفعلون الذنب ولا يعتقدون أنه ذنب كهذه الأخت التي كان معها أمانة وفرطت فيها، ولا تعرف أن هذا حرام، وهي تظن أنها يجب عليها أن تنقذ مسلمًا، أو تفرج كربة مسلم، وكان ينبغي عليها أن تسأل، على أية حال إنها خانت الأمانة دون أن تدري، وماذا بعد ؟

قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه:٨٢]، أي: وإني لَغفار لمن تاب من ذنبه وكفره، وآمن بي، وعمل الأعمال الصالحة، ثم اهتدى إلى الحق واستقام عليه.

ما هذه الرحمة، أي بعد أن يتلوث الشخص أي يتلوث بالمعاصي، وبعد أن تأكل المعاصي من قلبه أكلاً وبعد أن تهلكه الذنوب ماذا يفعل؟ يبدأ في رحلة العودة، فإن الله كان للأوابين غفورًا فيرجع مرة أخرى، وكيف يرجع؟ ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه:٨٢].

ولذا قال الملك في سورة النور في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور:٣٠].

فهذا أسلوب أمر فيه إلزام يسمى في اللغة "الأمر، والإلزام، والوجوب" ﴿... ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ... ﴾

أحدهم يقارن بين حالتين : حالة غضضت فيها بصرك، وأرخيت فيه رأسك ونكست فيها وجهك، انظر ماذا تجد من حلاوة الإيمان؟

وبين مرة أخرى، لا أحبها لك، ولا أحبها لي، ولا أحبها لإخواني، ومرة أخرى جعلت العينين تستمتعان غاية المتعة بما تشاهد إذا كان في التلفاز، أو الحياة، أو الشارع، أو في المعروضات التي في الشوارع، أو في..... إلخ .

أريد منك أن تقارن بين الحالتين، وأن الذي أوضح لك هو الحبيب ﷺ وعلى آله وصحبه الكرام، فقال لك النبي ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار**»[1].

من أين تأتي حلاوة الإيمان؟ من هذا الباب العظيم جدًّا من أبواب المجاهدة للنفس، وكبحها عما لا يحبه الله عز وجل، وألا يكون لها هوى إلا فيما يرضى الله تعالى: والابتعاد عن الشيطان ونزغاته.

أي: وإما يلقينَّ الشيطان في نفسك وسوسة من حديث النفس؛ لحملك على مجازاة المسيء بالإساءة، فاستجر بالله واعتصم به، إن الله هو السميع لاستعاذتك به، العليم بأمور خلقه جميعها.

كان هناك رجلٌ نعرفه، وعلامة الصلاة كانت تضيء وجهه، وكان يقول: إني خائف من الحفرة، أي الموت أو القبر، وأنا أصلي وأنا أخاف من الحفرة التي سأنزل فيها، ولكنني ابتليت بالنظر إلى النساء، كان يجلس في مكتبه، وهو في منصب كبير، ومبنى شاهق وهكذا، والعمل مختلط رجال مع نساء ويظل الورق أمامه، ويتركه وينظر هنا وهنا وهنا، ورغم هذا فإن الصلاة لا تنهاه عن الفحشاء والمنكر، فالإيمان يريد دَفْعَة، يحتاج إلى دفعة

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الإكراه، باب: من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، رقم الحديث: ٦٤٢٨.

قوية، يحتاج إلى تنشيط البطارية الإيمانية، في حاجة إلى تنقية، وفي حاجة إلى غربلة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠١].

أي: إن الذين اتقوا الله مِن خلقه، فخافوا عقابه بأداء فرائضه واجتناب نواهيه، إذا أصابهم عارض من وسوسة الشيطان، تذكَّروا ما أوجب الله عليهم من طاعته، والتوبة إليه، فإذا هم منتهون عن معصية الله على بصيرة، آخذون بأمر الله، عاصون للشيطان.

فإذا مسهم، سيأتي لك رغم أنك ملتزم وقوي الإيمان، ورغم أنكِ ملتزمة وقوية الإيمان ومستقيمة، الشيطان يحاول يدخلك من ناحية البصر ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور:٣١]. وربطنا لك من قبل بينهما ذلك أزكى لهم هذه هي الطهارة هذا هو النقاء إنما يريد الله أن يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا.

إن سيدنا عثمان بن عفان ﷺ وأرضاه، كان يعتبر أن بعض الناس عندما يستمتعون بالنظر فإن هذا من آثار الزنا، فكان يقول: ما بالكم يدخل عليَّ أحدكم، وآثار الزنا في عينيه وفي وجهه، وسيدنا عثمان بن عفان يكلم مَنْ، أي جيل تخاطبه يا ذا النورين؟! إنهم أناس كانوا يعيشون مع رسول الله ﷺ، وعلى آله وصحبه الكرام.

وكان يتعجب أن الإنسان يُطلق وكلمة يُطلق فيها صعوبة، كالذي يربط الفرس، والفرس يريد أن يتحرك يريد أن يجري ويجري ويجري، فإذا به يفك الفرس وهو هائج فإذا به يفك ويجري هكذا العينان؛ ولذا قال النبي ﷺ وعلى آله وصحبه الكرام: «**أمسك عليك لسانك**»[1] كأن اللسان في الأصل

(١) سنن الترمذي، كتاب: الزهد، باب: ما جاء فى حفظ اللسان، رقم الحديث: ٢٣٣٠.

منفلت، كأنه منطلق، كأنه لا راجع له، فقال له: ما النجاة؟ فقال: «**أمسك عليك لسانك**»، دون أن يفلت منك، دون أن يجري، وأن تلهث أنت وراءه والوقوع في القيل والقال، والوقوع في الأعراض والبهتان والغيبة والنميمة فقال: «**أمسك عليك لسانك**»، وهنا غض بصرك؛ لأنك إذا أطلقت ناظريك فقد تشيطنت، وأخذت سمة من سمات إبليس، فقال لك الملك في قوله تعالى: ﴿... ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ ... ﴾.

أي: أطهر وأنور وأن يحافظ على عينيه وعلى قلبه، ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾[النور:٣٠].

أي: والله خبير بما تصنعون، وبما تشاهدون، يعد عليك نظراتك، نعم الله تعالى يعلم عنك متى تقع العينان في طاعة؟ ومتى تقع العينان في خيانة؟ نعم نظرة فيها طاعة، أي كالذي نظر في المصحف فبكى من قوله: الله نور السماوات والأرض. لأنه تفاعل مع الآية فبكى، والثاني نظر لكنه عندما نظر خان، ينظر في حرمة بيت أخيه، وفي حرمة بيت جاره، ينظر في ودائع الآخرين، في أمانات الآخرين.

وبعض الناس يتلصص على أحوال الجيران من خلف النوافذ من منزله؛ لكي يشاهد عورات الناس، وعورات الجيران، وعورات البيوت التي حوله، ماذا تسمي هذا ؟ هذا إنسان ليس عنده أمانة، قوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴾[غافر:١٩].

أي: يعلم الله سبحانه ما تختلسه العيون من نظرات، وما يضمره الإنسان في نفسه من خير، أو شر، أي العين تخون، وكما أنها تخون فإنها تطيع، نعم تطيع، وتقع في طاعة جميلة، ومن أهم طاعات العينين البكاء من خشية الله تعالى كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[المائدة:٨٣].

ومما يدل على قرب مودتهم للمسلمين: أن فريقًا منهم (وهم وفد الحبشة لما سمعوا القرآن) فاضت أعينهم من الدمع، فأيقنوا أنه حقٌّ منزل من عند الله تعالى، وصدَّقوا بالله، واتبعوا رسوله ﷺ، وتضرعوا إلى الله أن يكرمهم بشرف الشهادة مع أمَّة محمد عليه الصلاة والسلام على الأمم يوم القيامة.

إن العينين اللتين تعصيان الله هما العينان نفسهما اللتين تبكيان، فعلمنا الآن أن الرحمن، وأن الملك، وأن الكبير قال لك: إن هاتين العينين بدلاً أن يقعا في الخيانة، فإنهما ينبغي أن يسعا إلى الطاعة، وإذا ما سمعوا ما أنزل إلى الرسول، تفيض من الدمع، وفي الناحية الأخرى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

وهذا جمال كبير ما أعظمك، وما أكبرك، وما أعلمك، فهنا أيضًا قدم خيانة العينين على ما في الصدر، لماذا؟ لأن الصدر يبقى نقيًّا بقدر ما يجد من نور، ومن حلاوة، فمن يعيش في رحاب أعمال إيمانية جميلة يرى بعينيه نورًا، ينور صدره ويشرح صدره؛ لأنه لا يرى إلا نورًا، لا يرى إلا أعمالًا صالحة، إلا ذكرًا، إلا حبًّا، إلا طاعة، ولكنه إذا كان يعيش مع أهل المعاصي، ويتحول من معصية إلى معصية، وهذا يقول نكتة، وهذا يحب كذا، وهذا يتكلم عن كذا، فصارت الحياة كلها عبارة عن خيانات العين، العين تخون، واللسان يكذب، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه .

هذه قصة كبيرة من تواصل الجوارح، إما في الطاعة، وإما في المعصية، فقال تعالى: يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور، أي: ما تخفيه الصدور أيضًا يرتبط بما يأتي إلى الصدر من العينين لماذا؟ لأن الرحمن الرحيم ﷻ جعل لهذا البدن منافذ كالذي يساعد على منع معصية، فهذا باب من أبواب المعاصي، كذلك الذي يساعد على طاعة، فهذا باب من أبواب الطاعات، وفيه

أبواب للمعاصي، وفيه منافذ للطاعات، وفيه منافذ للمعاصي، وإن أخطر نافذتين تأتي منهما الطاعة أو المعصية، هما العينان، والأذنان، وأخطر نافذتين تنقلان الأشياء إلى قلب الإنسان، هما: العينان والأذنان، فيقول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٦]

أي: ولا تتبع أيها الإنسان ما لا تعلم، بل تأكَّد وتثبَّت، إن الإنسان مسئول عما استعمَل فيه سمعه، وبصره، وفؤاده، فإذا استعمَلها في الخير نال الثواب، وإذا استعملها في الشر نال العقاب.

النافذة الأولى للإنسان هي السمع الذي ينزل إلى الفؤاد، وما تسمعه يؤثر في قلبك، والبصر وما تراه يؤثر في قلبك ما هذا الجمال! ما هذا التكامل! فقال لك الملك، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٦].

أي: إن الفؤاد يختزل كل ما يأتي له من السمع والبصر، هناك منافذ لكنك ما زلت مشتاقًا إلى أن تعرف ما هى الأبواب؟ وما زلنا في المنافذ، فماذا قال الملك الرحمن الرحيم في حماية هذه المنافذ، أي: مؤثر خارجي لابد أن يأتي إليك من هذين الأذنين، فقال لك الملك ﷻ، في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٤]. أي: وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له أيها الناس وأنصتوا؛ لتعقلوه رجاء أن يرحمكم الله به.

القرآن الكريم نافذته التي تأتي إليَّ عندما أستمع ذكرها الملك مرتين مرة بالاستماع، ومرة بالإنصات، ثم قال لك الملك: لم ترحم إلا بهذا لو سمعت القرآن، وتغافلت، وتشاغلت وكذا وكذا فإنك ما احترمت كلام الملك، لكن بعض الناس يشغلون القرآن في بيوتهم من أجل الاستئناس به وطرد الشيطان وجلب الملائكة، هذا طيب، ولكن الإنسان عندما يكون جالسًا

في عبادة، أي: إني أتعجب كثيرًا لكثير من الناس لا يوقرون الآذان عندما يُؤذن المؤذن أول ما يسمع المؤذن يقول: الله أكبر، يقف تمام انتباه لا يفعل شيئًا، إذا كان في يده عمل يتركه وينتبه ويذكر، ويردد مع المؤذن كما قال رسول الله ﷺ «**إذا سمعتم النداء، فقولوا مثل ما يقول المؤذن**»[1] فإن له بكل حرف ألف ألف حسنة، يتاجر مع الملك بكل حرف ألف ألف حسنة، وكان يكفى ألف حسنة وحسب، ولكن اجعلها مائة حسنة من يشتري الدار في الفردوس يعمُرها بماذا ؟

يردد خلف المؤذن، فالذي عنده كرب، والذي عنده مشكلة في حياته ينتظر وقت الآذان إنه يتحين وقت النداء، إنه ينتظر، فإن القهار، فإن الرحمن لا يرد دعاءً عند الآذان أو عند النداء أي وقت إجابة، ويأتي لك الآذان وأنت منشغل، ولا تريد أن تسمعه، ولا تردد خلف المؤذن فإنك ما وقرت الله تعالى، ما وقرت كلمة الله أكبر، وما تتكرر كلمة أشهد أن لا إله إلا الله مع الآذان كله، ولكن هل نقوم بما أمرنا الله ﷻ به من تكرار الآذان كما يردد المؤذن: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح:١٣].

أي: ما لكم أيها القوم لا تخافون عظمة الله وسلطانه، متى تحترم كلمات الرحمن؟ تعايش مع كلام الآذان، والمعاني، والجمال الذي في الآذان، فهذه أبواب الرحمات التي يقصد بها أن رمضان تفتح به أبواب الرحمات، فهذه أبواب الرحمات لا نعتقد أنها أبواب كان عليها أقفال لا تفتح، فإنها أبواب الرحمات، أي: أبواب الطاعات التي أحدثك عنها، الآن فتحت فإنها طوال السنة مفتوحة، ولكن الحسنات فيها تضاعف في رمضان، وتأتي أبواب من الخير والبر في رمضان لم تكن في غيره ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح:١٣].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الأذان، باب: ما يقول إذا سمع المنادي، رقم الحديث: ٥٧٦.

كلام الله تعالى، والآذان، وكلام النبي العظيم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام عندما يخالط أسماعنا فإن النور يخالط قلوبنا.

اللهم إني أسألك إيمانًا يخالط بشاشة قلبي، اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى، وصفاتك العلا، وباسمك الأعظم أن تقيل عثرات المتعثرين، وأن تكشف الهَمَّ عن المهمومين،

اللهم اجعل للمستضعفين مخرجًا، واكتب لهم فرجًا قريبًا عاجلاً يا واسع الرحمات، يا كاشف الكروبات، يا مقيل العثرات، يا سامع الدعوات، يا مجيب الرجاءات، بك نستجير، ومن يجير سواك فأجب ضعيفًا يحتمي بحماك، فأجب ضعفاء يحتمون بحماك، يا ذا العرش المجيد، يا فعال لما يريد، ظلمنا أنفسنا ظلما كثيرًا فاغفر لنا، واعفُ عنا وسامحنا، ومن يغفر الذنوب إلا أنت.

يا الله أنا المذنب الذي هديته، أنا المذنب المخطئ الذي هديته، يا الله أنا المريض السقيم العليل الذي شفيته، يا الله أنا البعيد الذي قربته، يا الله أنا المكروب الذي فرجت كربه، يا الله أنا القاسي الذي لينته، يا الله أنا المقصر الذي شرحت صدره للإسلام، يا الله أنا الصغير الذي كبرته، يا الله أنا الضعيف الذي قويته، يا الله أنا الفقير الذي أغنيته بالإيمان.

يا الله يا عز كل ذليل، يا غنيَ كل فقير، يا منقذ كل ملهوف، تقبل دعاءنا ورجاءنا، يا أرحم الراحمين، وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه الكرام.

اللهم زده شرفًا على شرفه الذى أوليته، وعـزًّا عـلى عـزه الذي أعطيته، ونورًا على نوره الذى منـه خلقتـه، وأرفـع مقامه فى مقامات المرسلين، وسلم تسليمًا كثيرًا .

اللهم صلِّ على سيدنا محمد بعدد من صلى عليه،
وصلِّ على سيدنا محمد بعـدد مـن لم يصل عليه،
وصلِّ على سيدنا محمد كما أمرت بالصلاة عليه،
وصلِّ على سيدنا محمد كما تحب أن يصلى عليه،
وصلِّ على سيدنا محمد كما ينبغي الصلاة عليه.

****